أمتي

الوعي والحلم والغضب

الوعي :

سبع حمائم
سيل عمائم
نحل في البرية هائم
موكب وعد ، موكب امكانات ـ امتنا .
نار ودخان
وثن ، طبل ، قرآن
طفل ظل يقوم الليل ويمسك في رمضان
حلم برفاه الارض وخوف من فتكات الغيب المقبل
امتنا

عذراء كقلب القمحة امتنا عذراء
الالسن والشهوات هنا عذراء
اجفان الناس مكحلة بالعفة والاغضاء
حتى صيحات اللذة عند عواهرنا عذراء
محض ثغاء

***

في اعلى قمم الشمس فرشنا للاضياف موائدنا
وركزنا في احشاء الارض بيارقنا
وتفيأنا
نهر الدعوى وجبال العزة والنسيان
وتواصينا
« دقوا طبل التمجيد لامتنا
غنوا للشعب ملاحم عزتنا
حريتنا
غنوا للشعب على قيثار السادة والفرسان »
فتمدحنا :
« ها نحن على يأفوخ الشمس نحط مضاربنا
فولاذ الدرع ، صخور الساحل ، في الامن مضاربنا
جاموس الغابة وعل الواحة امتنا
اغياء الامن الممتدة
خطوات الخيل المعتدة
ضرس الايمان الضارية الصلدة
جاع البارود وما جاعت
وتهاوى النجم ولم تهو
صمدت للرعب ببارقها
تتمايح في الريح الحلو
تتمايح حتى انفجر الليل وهل الفجر
وانشب عبء المسئولية في الاعناق عقود اللؤلؤ والمرجان»

الحلم :

الليلة قومى في حارات الشمس
حفاة الرأس
بدون سجاجيد ولحى
مرحى ـ في وقت عبادتهم
وبقلب الموسم يا مرحى
في مرج اعشب رمانا
أينع شبعا ، ريا ، فرحا
وبساعة لهو بالله
كنا نتقاذف بالاثمار وبالطين :
كور طينا ما بين يديك ولا تعبا
أثواب السهرة لا تعبأ
بالجبهة ، بالسروال الابيض لا تعبأ
اقذف اصنام السطوة والتخويف
الصق نيشانا فوق بضاعة هذا الزيف
اصنع لخدود فتاتك شامة طين ـ
رقش اهدابك طين
بلل اثوابك زيتا
عرقا ،
طين .

***

الليلة كنت اشق السوق وفوق ذراعي امرأتي
خضراء النهد مباركة الشفة
عارية الساق معافاة العينين
مكحلة بالجرأة والثقة .
الليلة امرأتي
والشارع يغمزنا ويحيينا
يتفتح ثغر الله بوجهينا عنبا ورياحينا
تتكور فوق عيون الناس كروم الحب بساتينا
يتفجر نبع مشاركة واخاء

***

الليلة افريقيا فتحت دغلا
فتحت دربا ـ اخذتني بالاحضان
هذا مجد الانسان :

ـ التتمة على الصفحة ٧١ ـ

راقبته ، يلحظني للمرة الاولى
يسخر مني ...
دون ان يسمعني حرفا
او يوقظ الصمت الذي اغفى
والمقطع الثاني من قصيدة الشاعر الانكليزي ، وهو :
زاوية الشارع في « بودا » وبعدها
قرب محطة البريد لمحة
من اذيال معطفه التي تختفي
اعطت نفس الانطباع ... عن المتجسس عليه ،
عن الضيق في الحنجرة .
يدركه البيتان الاخيران من مقطع « الشخص الثاني » الاول :
كان زجاج المطعم الشتوي مبلولا
وفجاة ..
غادره بالمعطف الباهت ملتفا

ولا شك انني لا اريد المضي بالمقارنة حتى النهاية ، بل اكتفي بايراد باقي مقاطع قصيدة داريل – تجنبا للاطالة – والمح الى الصياغة الحادة والجافة والمكتفية بالتشخيص الشعري :
Poetic Charactarization

في قصيدة داريل ، وهي من مميزات هذا الشاعر العظيم وتبرز بوضوح في قصائد ديوانه « شجرة العطالة » على الاكثر ، ويشاركه فيها من الشعراء الانجليز المعاصرين كنغزلي اميس ، ولكن لذة بالسرد لذاته ، وجون هولواي ، وان وسط كينونة غريبة وشفافة ، وبعض قصائد جون واين واخرين من شعراء « الحركة » في انجلترا .

ولكن سعدي يوسف ، وهو الشاعر العربي الحار ، لوى قوادم ابياته باستغراق وتصميم نحو خليج عريض من العواطف الشائعة ذات الكينونة المجانية ، والتي غالبا ما يعتمد عليها الشاعر العربي في تكوينه الشعري ، ولا يدري مواضعها الحقيقية بل يلتف باكبر عدد من الاجنحة الانفعالية محاولا ان يطير الى الفراغ . ولا يدخل تحت هذا البرنامج المضطرب انفعال سعدي يوسف مطلقا ، واقصد المقطع الثالث من « الشخص الثاني » ، وهو قصيدة سعدي يوسف الحقيقية ، وفيه حبه الاصيل وشوقه الانساني المحرق لوطنه وهو بعيد عنه ، اغنية صميمية ذات حركات متقنة وشجية تزخر بصوت الدخيلاء والريح والمطر ومظاهر الطبيعة واشيائها الاخرى التي تميز شعر سعدي يوسف باكمله . وانا اطلب منه ان يتقبل تقديري العميق لشعره ، واورد الان باقي قصيدة داريل :

وذات مرة ايضا قرب « السين »
والمياه ارض متحركة من النجوم ،
كان قد اختفى حين بلغت الباب ،
ولكن ثمة على الرصيف كان يحترق
سيغار من سيغاراته المألوفة .
اللقاء على الدرج المظلم
حيث التيار يجري صافيا كالنول :
خيانتها هي ، قبلاتها التي
كان شاهدا عليها جميعا : غالبا ما
اسمعه يضحك في الغرفة الاخرى .
انه يراقبني الان ، وانا اشتغل الى وقت متاخر ،
باعثا الى الحياة بقصيدة ، وعيناه
تشغفان باعتلال « دي نرفال » :
اواه لا يجدي في هذا البيت القديم الاستفسار
من المرايا ، وهي قناعه الذي لا يخترق .

كركوك — سركون بولص

تتمة قصيدة « امتي »

ان يأكل قبل المدخنة
ويصفر قبل القاطرة
وينام على قلب اخيه الانسان
هذا ابد التيجان بأفريقيا
الرؤيا تزحم عينيّ الرؤيا
اتلمس في الادغال وفي صحراء البهو معالمها
اتلمس لا القى الا حبات مسابحكم
حبات مسابحكم
حبات مسابحكم
سبحان الحلم الطيب فوق مداخل أفريقيا

***

الغضب :
في قمة الشمس الصبية أمتي لفقت عمائمها ووثقت العباءه
حضنت مصاحفها وخطت في السهول مضاربا سودا واحكمت البناء
عار الدكاكين ، الارائك والمقاهي والفراندات المضاءه
ومجالس الخمر الذليل وجثة الأنثى واسعار البذاءه
هذي السراويل الوقورة حشوها زيف الخنوع وذلة العيش انحناء
هذي المتاريس المشيدة لم تمد سقوفها يوما الى الضيف احتفاء
متلصصا وقف النهار لدى نوافذها وناح الطبل – بح تشنجا وبكى نداء
أفريقيا رقصت لدقات الدفوف ، تطهرت في نهرها القديس ،
قدمت الذبائح والغداء
وهنا بأحداق السهول تحك امتنا عجيزتها وتلتفع العباءه
مخضوبة المنديل تحجب عن بواصرها الشناعة والدماء
يا خوفها الملعون من مرأى الدم القاني يسيل على حشاياها ويمنعها التضاحك والمواء .

***

أواه ها حلمي يطيش وها أنا متوجه نأيا يطول تعزيا
نسكا سأرقص أشرب الخمر الزؤام ، اسب تاريخي هناك تشفيا
اواه ها خوف النكوص يشل اقدامي ويلجئني اليك مصليا
متنكبا رمحا اطاعن صخرة – لا انتمي ابدا اليك ولا أطيف تخليا
سأظل انبح ههنا حتى يموت توهج الحمى وينطفىء الشباب

الخرطوم — محمد المكي ابراهيم